ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

مقاربة سيميائية ثقافية لنص "قصة أهل البصرة من المسجديين في كتاب البخلاء للجاحظ

Cultural semiotic approach to the text "the history of the Masjidiyyin of Basra" in the Kitaab al-Bukhalaa of al-jaahid

كريمة بوعمرة

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر2

الإيميل المهني: karima.bouamra@univ-alger2.dz

تاريخ الإستلام: 2023/02/04 **تاريخ القبول:** 2024/02/28 **تاريخ النشر:** 2024/04/30

ملخص:

إن المقاربة الثقافية تفسر السياق الثقافي والاجتماعي لإنتاج النصوص وتلقيها، وأيضا كيف يتم التفاعل بين السياق الأدبي والاجتماعي، كما أنه يبين لنا كيفيات التعامل مع النصوص من الناحية التعليمية، وكيف نعلم القراءة الصحيحة للنصوص.

وبناء على ذلك، فإن موضوع المداخلة يقدم مقاربة ثقافية للسرد الحكائي التراثي، حيث نطرح إشكالية قراءة نصوص في " السرد الحكائي التراثي" في إطار سياقها الثقافي الاجتماعي، ويكون نموذج التطبيق، نص " قصة أهل البصرة من المسجديين" وهذا في إطار المقاربة السيميائية الثقافية، حيث استنتجنا أن السنن هو مفهوم ثقافي يطبق على النص من خلال الدال والمدلول، كما حللنادلالة الأشياء الثقافية في النص التي تمثل ثقافة المجتمع وقد استعمل الجاحظ الرمز الذي يحمل دلالات مضمنة في النص.

الكلمات المفتاحية: التعليمية؛ الدال؛ السرد؛ السيميائية؛ المدلول؛المقاربة الثقافية.

***

Abstract:

The cultural approach explains the cultural and social context of the production and reception of texts, as well as the way in which literary and social interaction takes place In this article, we deal with the subject of the cultural approach in the traditional narrative, The object of the analysis will be the text of al-jaahid "the history of the Masjidiyyin of Basra" in the Kitaab al-Bukhalaa.

In addition, this within the framework of the cultural semiotic approach, where we concluded that the code is a cultural concept applied to the text through the signified and the signifier.

Through this essay, I analyzed the meaning of cultural objects and the symbol that reflects connotations integrated into the text.

Keywords: *cultural approach; didactique; narrative; semiotic; signified; signifier*

ا. مقدمة

المقاربة الثقافية وجهة جديدة في الدراسات الأدبية، يتعلق بكيفية التعامل مع النصوص، في مجال الأدب والفن، ولكنه يبين كذلك دور الثقافة في صياغة نظام النص من الناحية الجمالية والأنثروبولوجية، وكيف تتدخل في بناء هذه النظم وصياغة وعينا بها (آرثر، 2003) ، ونجد بذلك أن المقاربة السيميائية للثقافة تبين لنا من جانب اتجاهات البعد الثقافي للنصوص في المستوى اللغوي.

وقد بَيَّنا من خلال المقال المقاربة الثقافية وفق تحديد يوري لوتمان وليفي شتراوس، بالتركيز على مفهوم الموضوعات الثقافية والدال والمدلول، وكذلك مفهوم الرمز ، الذي يمثل ذاكرة النص، وطبق نا هذه المفاهيم على نص " قصة أهل البصرة من المسجديين" للجاحظ؛ حيث استخرج نا المفهوم السيميائي للدال والمدلول، ومفهوم الموضوعات الثقافية، ودلالة الرمز، ويبقى التحليل غير كاف لنقدم قراءة موضوعية للنص، فلابد من النظر في التاريخ الثقافي للنص.

أولا: المقاربة الثقافية السيميائية

اهتمت السيميائية بالاتجاه الثقافي، الذي أصبح مهما في الدراسات اللسانية، حيث يرى ليفي شتراوس **Lévi-Strauss** أن " الثقافة هي مجموعة من النصوص" **(Lévi-Strauss , 1958)**،حيث نحدد النص في إطار الثقافة، من خلال عملية إنتاج الدلالة التي تتضمن السنن، والمرسِل والمتلقي، ثم تظهر الثقافة أيضا في الأشياء أو الموضوعات، التي تشكل مفهوما عند المجتمع، ثم سنرى وجهة يوري لوتمان، الذي يرى أن الثقافة هي المعيار اللساني والتداولي المشترك للمرجع في المجتمع

1. عملية إنتاج الدلالة:

نجد أن النظرية السيميائية تنطلق من مفهوم عملية إنتاج الدلالةsémioseفي تأويل النصوص، الذي يحدد على أنه "عملية تتكون من مرسلémetteurيقصد تبليغ رسالةmessage لمرسل إليهdestinataire، الذي يتلقاها عن طريق وسيط médium، فيختار سننا code مناسبا، ومدلولا signifiéيتضمن الرسالة، وبما أن السنن يربط الدال signifiantمع المدلول الموافق، المرسل يقوم بإنتاج الدليل signe، الذي يحقق الدال"(Posner, 1989) .أما من "جهة المرسل إليه، فسيدرك الدليل عن طريق الوسيط، ويعتبره تحقيقا للدال الذي يحيل على المدلول بالاستناد إلى السنن(Posner, 1989). ".

ونستنتج من ذلك، أن عملية إنتاج الدلالة تحدث من جهة المرسل والمرسل إليه، بصورة عكسية، فالمرسل "ينطلق من الرسالة لإنتاج الدليل، أما المرسل إليه فينطلق من الدليل لبناء الرسالة، في إطار سياق محدد(Posner, 1989)"

وتتحدد عملية إنتاج الدلالة حسب نوع عملية الاتصال التي تحدث بين الأركان: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السنن، "أولا: فإذا كان المرسل يقصد تبليغ رسالة للمرسل إليه الذي يتلقاها، فهنا نتحدث عن عملية تواصل communication، ثانيا : إذا كانت عملية إنتاج الدلالة تتضمن سننا، أي ترابط بين الدال والمدلول، الدليل له دلالة ذات سنن، والعملية التي تنتج عن ذلك تسمى الدلالةsignification، ثالثا، فالدليل عبارة عن علامة indice،إذا كانت عملية إنتاج الدلالة لا تتضمن أي سنن، والعملية التي تنتج عن ذلك تسمى إشارة indication" (Posner, 1989)

2. المفهوم السيميائي للنص

إن النص في السيميائية يعتبر شيئاartefact ، "وبهذا المعنى فهو يوجه إلى مرسل إليه، وله كذلك مدلول ذو سننcodéفي ثقافة ما" (Posner, 1989)،وهكذا يحدد النص على "أنه موضوع artefact في ثقافة،

وعلى أنه وسيلة، تتواضع عليه ثقافة وتوجهه لمرسل إليه، ولابد أن يكون سنن في ثقافة ما يحدد مدلول الشيئ" وبصورة أدق يحدد النص على أنه "موضوع مؤقت للمدلول، محدد بسنن لفظي" ، ما ينتج عن ذلك أن كل "نص ثابت artefact durable، يمكن أن يوظف بطرق مختلفة... ويمكن أن يكون لنص قراءات عدة، تختلف حسب السياقات(Posner, 1989) "

والنص في الثقافة يتخذ أبعادا أوسع " فكل ما اتخذ مفهوما في مجتمع، ينتمي إلى ثقافته" (Posner, 1989) ، ومن شرط المفهوم concept ، ألا يكون تشكلا لفظيا أو وحدة معجميةunitélexicaleولكن لابد أن يكون " عنصرا من فئة أشياء categorieيكون لها وظيفة في اتفاق المجتمع" (Posner, 1989)، وعلى ذلك فإن "الوسائل، والأشياء تُكوِّن الثقافة المادية التي استبعدت من التحليل في النصوص، وهذا لأن المجتمع كوَّن مفهوما عنها، باعتبارها تنتمي إلى ثقافته(Posner, 1989). "

والنتيجة أن الثقافة من منظور سيميائي، "هي مجتمع(منظم في مؤسسات لها عادات)، أي مجموع مستعملي الأدلة usagers de signes، الذين يستعملون السننcodes المتواضع عليه لإنتاج حضارة(مشكلة من أشياء لها مدلولات)أي نصوص" وبهذا فإن "النشاط الثقافي هو عملية دلالة (sémiose) procès de signification، تتضمن السنن، النصوص، ومستعملي الأدلة"(Posner, 1989) ، فالسنن جزء أساسي من الثقافة حيث إن " العلامات عرفية كما يقترح بيرس، حينذاك سنحتاج إلى شفرات لتخبرنا كيف نُعرِّف معنى الكلمات، وما الذي تعنيه المعبرات والعلامات... يمكننا أن ندعو الثقافة التي ننظر إليها كمجموعة أو نظام للشفرات ، يتماثل في نواح عديدة مع اللغة "(آرثر، 2003) .

3. الثقافة ذاكرة للنص

وإذا كانت سيميائية الثقافة عند بوسنر Posner تظهر في عملية إنتاج الدلالة، فإن الثقافة عند لوتمان إنما هي ذاكرة في النصوص "فالنص هو تكثيف لذاكرة الثقافة، فله القدرة على حفظ ذاكرة السياقات السابقة" (Lotman, 1990,) ، ولكن بالنسبة للقارئ "النص هو بناء للمعنى الأساسي، والدليل المنفصل... فالسياقات تضيف تأويلا للنص، وتضاف له، وهي ما ندعوه ذاكرة النص" (Lotman, 1990,) ، وهذه المعاني التي يشكلها النص "تدخل في علاقة مع ذاكرة الثقافةcultural memory (العادات)، التي تشكلت في وعي الجمهور"(Lotman, 1990,) ، وهذا يعني أن "النصوص تحفظ نشاطها الثقافي، وتكشف عن مقدرة لجمع المعلومات، وحفظ الذاكرة(Lotman, 1990,) "

4. أهمية الثقافة في تأويل النصوص

نجد عند يوري لوتمان Lotmanرأيا آخر، حيث يرى "أن هوية المرسل والمرسل إليه مهمة في قراءة النص، فالتواصل بين المتخاطبين في لسان واحد ليس من شرطه هوية السنن code ، ولكن تتدخل التجربة اللسانية المشتركة، وبعد متقارب من الذاكرة، وفهم مشترك لمعيار المرجع اللساني والتداولي"(Lotman, 1990,) ، فلابد أن يكون في النص بعد ثقافي مشترك، ويمكن القول أن نص الجاحظ قد حافظ على المشترك الاجتماعي الذي يجمعه بالمتلقي، لأنه يحقق المعايير الثقافية المشتركة للمرجع.

5. العلاقة بين الرمز(symbol)والثقافة

يعرف الرمز على أنه "المضمون الذي يستعمل كمستوى تعبير expression لمضمون آخر ، يكون له قيمة في ثقافة"(Lotman, 1990,) ، ويعتبر الرمز "نصا في مستوى التعبير، وفي مستوى المضمون، ، وله معناه القيمي الخاص الذي يميزه عن السياقات السيمائية من حوله" (Lotman, 1990,) ، "كما أن للرموز قابلية

لحفظ النصوص في صورة مركزة، وإذا وظف الرمز في سياق ، فإنه يحتفظ بدلالته semantic وبنيته المستقلة، والرمز يتلازم بصورة نشيطة مع السياق الثقافي، فيؤثر فيه، ويتأثر به(Lotman, 1990). "

1.5 الرمز في النص:

الرمز في القراءة "يعني قراءة النصوص بوصفها رموزا، أو أجزاء من النصوص، والتي في السياق الطبيعي لا تعتبر رموزا، أما عدم ترميز النص de-symbolizing عند القراءة، فإنه يحول الرموز إلى خطاب عادي(,Lotman, 1990)" ، ويتحقق الرمز "بصورة مستقلة قبل النص، ويظهر في ذاكرة الكاتب، منبعثا من عمق الذاكرة الثقافية، ليتحقق في صورة نص جديد مثل بذرة في التراب"(,Lotman, 1990) ، ولا تعتبر الكلمة "دليلا تواضعيا فقط conventional sign، ولكن كذلك رمز ا" ، كما "يميز الرمز عن الدليل التواضعي بوجود عنصر بصري iconic element يحدد العلاقة بين مستوى التعبير level expression ومستوى المضمون"content(Lotman, 1990)، حيث يرى لوتمان أن "الاختلاف بين الأدلة الصورية iconic signs والرموز، كالاختلاف بين الرمز والصورة، ففي الصورة، الأبعاد الثلاثية للواقع ممثلة في بعدين، ولكن الإسقاط غير التام لمستوى التعبير على مستوى المضمون يغطي الإيهام، فيعتقد الرائي أن هناك تطابق تام بين المستويين"(Lotman, 1990) ، أما في الرمز فإن مستوى التعبير لا يسقط تماما على مستوى المضمون، "حيث إن المضمون يحيل على التعبير، والتعبير يشير إلى المضمون، والرمز يتقاطع مع الإشارة index، أي التعبير يشير إلى المضمون في حدود ما يتم تمثيله"(Lotman, 1990) ، "فالرمز هو الوسيط بين آنية نصsynchron وذاكرة الثقافة culture's memory ، فبنية الرمز في ثقافة معينة ، هي شكل النظام الذي يكون مماثلا لذاكرة الفرد"(Lotman, 1990) ، ما يعني أن ثقافة المجتمع تكون مشتركة بين الأفراد في المستوى الآني والزمني.

ثانيا: نموذج نص التطبيق "قصة أهل البصرة من المسجدين" في كتاب البخلاء للجاحظ

ننطلق في هذا التطبيق من مفهوم ليفي شتراوس للثقافة ، على أنها مجموعة من النصوص، حيث اخترنا في هذا التطبيق نموذج من نص الجاحظ "قصة أهل البصرة من المسجدين"، لنطبق وجهة سيمياء الثقافة، التي تقدم لنا مفاتيح في قراءة النص وتأويله.

وغرضنا من هذا التحليل أن نبين كيف نتقصى المضمر في النص، ومنهجية تدريس النص للمتعلم في المستوى الجامعي، وهل إن النقد الثقافي من خلال المقاربة السيميائية للثقافة ، يمدنا بالدلالات الكامنة في النص؟، خصوصا مع تعدد متلقي النص من عهد إلى آخر؟ .

1. النص ضمن عملية إنتاج الدلالة

ونص الجاحظ بهذا المعنى هو موضوع أو شيئ في الثقافة، لذلك فسنحدد أولا عملية إنتاج الدلالة،باعتبارها نشاطا أو سلوكا في الثقافة، من جهة المرسل والمرسل إليه.

إنّ نص الجاحظ باعتباره ملفوظات، يجسد عملية الدلالة التي "تتعلق بإنتاج وفهم ملفوظ" (Posner, (énonciation)(1989، وهناك قصدية intentionnelle من الجاحظ لبناء الأدلة في النص، ما يُشكِّل عملية إنتاج الدلالة، التي يمكن أن تفسر بما يلي : أولا، الوسيط médium وهي (قصة أهل البصرة من المسجدين)، فالوسيط يتأسس على نمط السرد، الذي أعلن عنه الجاحظ في بداية الحكاية، والمتمثل في ؛ اجتماع ناس في

المسجد وتباحثهم طرق الاقتصاد، وسرد كل واحد منهم لحكاية تخص سبيل الاقتصاد والتماس الحيلة في ذلك، حيث يتضمن النص أدلة signe، تمثل ملفوظات نص الجاحظ، والدليل الأول الذي نستخرجه هو ؛ لفظ (المسجديين) الذي يجمع بين دال (مكان العبادة)، ومدلول (الاجتماع، التذاكر، الحلقات)، وهذا من خلال قول الجاحظ (اجتمع ناس في المسجد... وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب...) (الجاحظ، 2004) ، فالدال يمثل "الاجتماع في المسجد في حلقات" والمدلول "التذاكر والتدارس"، وفي هذه الحالة فإن هناك سننا يجمع بين دال ومدلول، ولمعرفة الجانب الثقافي في النص ، لابد من تفكيك هذا السنن المُضَمَّن، وعلى هذا يتضح لنا مستويين في عملية الدلالة، الدال (المسجد، الاجتماع في حلقات) ، والمدلول(العلم، والذكر والدَرْس)، أما المستوى الثاني في الدلالة فيشمل الدال (المسجد، الاجتماع في حلقات) والمدلول (المذهب، الحلف، تدارس سبل الإنفاق والاقتصاد)، والسنن الذي يجمع بين الدال والمدلول ، إنما يتمثل في اعتبار المسجد مؤسسة دينية اجتماعية، لا تؤطر الجانب الروحي فقط، ولكن الاقتصادي كذلك، وهنا تكمن المفارقة والدلالة المُضَمَّنة عند الجاحظ ، بحيث يصبح المسجد (الذي كان مكانا للتذاكر والتدارس والعلم)، موضعا لحل أدنى المشكلات الدنيوية (سبل الاقتصاد في النفقة وجمع المال)، ويكتسب البخل إطارا شرعيا،يستمده من المسجد، رغم أنه يتعارض مع قيمه الروحية، ما يجعلنا نتساءل : هل إن الجاحظ ينقد الوضع الاجتماعي والمذهبي لأهل البصرة؟، فهل هناك خطاب مضمن في النص؟ من مثل هذه الدلالات التحوُّل الذي مسَّ وظيفة المسجد، بحيث أصبح له تأثير اجتماعي؟، ويمكن القول أن نص الجاحظ يكشف لنا عن تحوُّلات السياق الاجتماعي؛ نفترض فيه أنه بعد أن كان المسجد مكان للحلف المذهبي لأهل البصرة، وما ميزه من الجدل الفلسفي والديني من خلال مدلول (التذاكر والتدارس)، أصبح مكانا لدراسة سبل الإنفاق ووجوه جمع المال، ما يبين لنا الوضع الاجتماعي لأهل البصرة، نفترض فيه أن هناك تعريض بأهل البصرة، فالتحالف والمذهب الموَحد أصبح لا يتعلق بمسائل وقضايا لغوية وفقهية عند البصريين، ولكن بمسائل أدنى منها، والسياق الاجتماعي يؤكد ظهور فئة المسجديين، وإقامة حلقات المساجد، التي تتناول السلوك الاجتماعي بالسخرية والتهكم "وبجانب ذلك كانت بعض حلقات المساجد تحفل بأصحاب النوادر...وبالمثل قد يظهر في هذه الحلقات من يستهترون بالقيم الأخلاقية في المجتمع، من مثل ما يرويه الجاحظ عن أبي كعب القاص وحيله"(عويس،1977).

ويمكن أن نطبق المخطط الخاص بعملية الدلالة بين المرسل والمتلقي، على نص الجاحظ وفق ما يلي(Posner :1989)

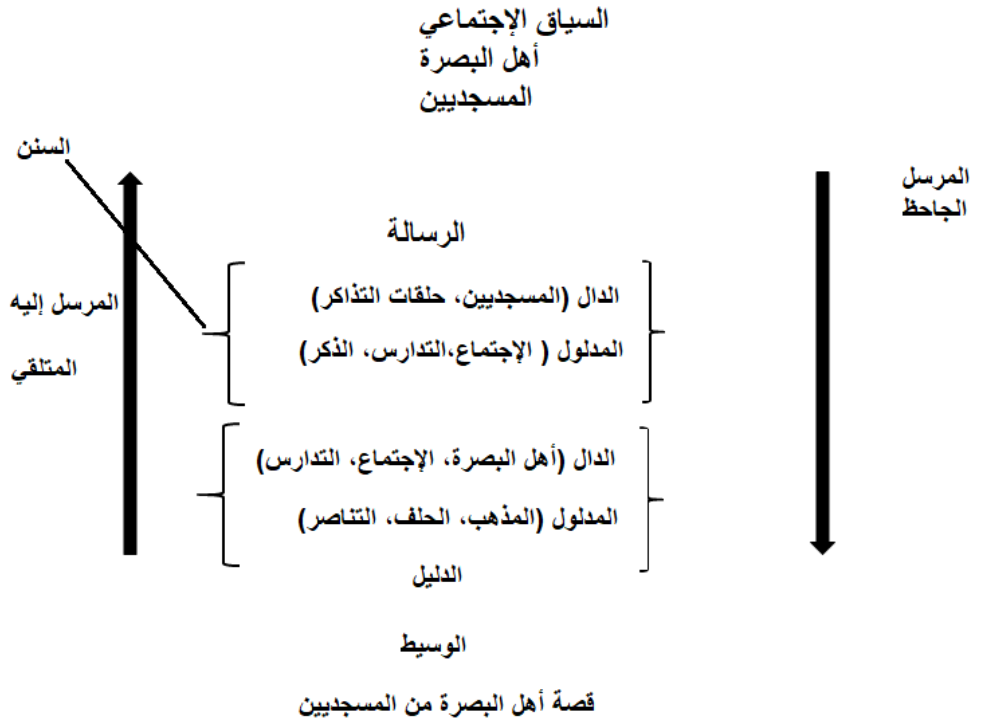

فمن خلال المخطط؛ يظهر مستويين من الدال والمدلول؛ المسجد مكان للتذاكر والتدارس ، وهذا ما يؤلف السنن الجاري في المجتمع، وهو سنن مشترك عند المسجديين وأهل البصرة، والمستوى الثاني ؛ أن أهل البصرة يجتمعون تحت حلف ومذهب واحد ، يؤلفه دال المسجد، فيقع التماثل بين المستويين من خلال السنن، فالمسجد يمثل توحيدا في المذهب عند أهل البصرة والمسجديين، والتَحوُّل يظهر من خلال السياق الاجتماعي، الذي أحدث تحولا في وظيفة المسجد من تذاكر وتدارس العلم، إلى تدارس سبل الاقتصاد، وعملية إنتاج الدلالة تكون من المرسل (الجاحظ) الذي أنتج النص، والسنن أي من الدال إلى المدلول، أما المرسل إليه فينتقل من المدلول إلى الدال، بمعنى أن المتلقي يقوم بتفكيك السنن المُضَمَّن.

2. نص الجاحظ بوصفه موضوعا ثقافيا

إن النص كما رأينا، هو موضوع ثقافي ، أو شيء تتواضع عليه الثقافة، وهو يتضمن سننا يحدد المدلول في النص، لذلك فإن تحليل القسم الثاني من نص الجاحظ المعنون " الحمار والماء الأجاج" يقوم على قراءة هذا السنن، وكذلك استخراج الأشياء أو الموضوعات الثقافية الموجودة في النص، لأننا ننطلق من مبدأ أنّ الثقافة تنتج هذه الأشياء، ويتم تداولها وفق سنن يُقرُّه المجتمع، وبناء على ذلك ، فإن محور التواصل ، يتكون من مستعملي الأدلة والنص والسنن.

ومن الموضوعات أو الأشياء الثقافية التي تظهر في النص لفظ: " الشيخ" الذي يستهل به، وهو سنن في المجتمع له مكانته، خصوصا في إطار المسجد، الذي يقوم على التدارس والتذاكر، والخلفية المعرفية(المذهب)، ولكنه ينزل إلى مستوى السياق الاجتماعي، من خلال قصة الحمار والماء الأجاج، فنفترض من خلال النظرة النقدية للجاحظ، أنه ينقد الفصل بين المسجد والسياق الاجتماعي، الذي يعالج إشكالات الحياة اليومية، وكيف للمسجد أن يتدخل لحلّها.

فمن الموضوعات الثقافية، ما يكون البيئة الاجتماعية، التي تتمحور حول إشكال الماء الأجاج وسُبل حَلِّه، من منظور الرؤية الدينية(المسجد)، حيث تشمل البئر والإبل والنخل والنهر ، التي تأثرت بإشكال عدم توفر الماء العذب، والحلول غير الناجعة التي لا تحقق الحلّ (فكنّا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه) (الجاحظ، 2004، ص54)، وكيف يتم الاقتصاد في الماء العذب، حسب ما أوجبه الوضع، فالأمر لا يتعلق بمسألة بُخل، ولكن بمسألة مواجهة مشكلة اجتماعية، يمثل فيها المسجد حيزا لحلّ هذه المشكلات، حيث نجد التقديس والمباركة، التي تفضي إلى الحلول في قوله(ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح)،(هذا بتوفيق الله ومنّه)، أما الموضوع الثقافي الثاني الذي يمثل سننا هو لفظ " النعجة"، التي وردت في قوله " وكنت أنا والنعجة"(الجاحظ، 2004، صفحة 54)، فهي تمثل دال (حيوان، أنثى)، فقد ورد في لسان العرب (النعجة الأنثى من الضَأْن) المعاني(2023) ، أما المدلول فهو المرأة حيث ورد في لسان العرب(والعربُ تَكْني **بالنعجة** والشاة عن المرأة) المعاني(2023)، واستنادا لقول يوري لوتمان إلى أن النصوص تحفظ ذاكرة الثقافة، فإن لفظ (النعجة) باعتبارهسننا، تستند إلى نصوص أخرى من ثقافة المجتمع، وذلك من مثل السنن المشترك عند العرب في كنية المرأة بالنعجة، ونرى الجاحظ يسير على هذا التضمين.

ومن الأشياء التي تشكل الثقافة هو لفظ المُتوضَأ ، مشتق من الوضوء، وهو يدل على الخلاء أو المستراح المعاني(2023) ,فقد لجأ الشيخ إلى حيلة لحفظ الماء العذب، ومن خلال الأشياء الثقافية التي عرضها الجاحظ، نجده يتعرض لقضية فقهية، يمثل المسجد إطارا لها، حيث يقول" ولولا التعبّد لكان جلد المتغوّط أحقّ بالنَّتن، من جلد الجنب، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضا لا تقزُّز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه" (الجاحظ، 2004)ويناقشها من خلال المحاججة، وهي تنتمي إلى الدين الإسلامي في المعاملات الدينية، وهذا في مثل (الجنابة، حرج، كتاب، سنة، حرَّم، نهى)، والحاصل من ذلك أن حفظ الماء العذب لا يتعارض مع الدين، فالإطار الديني الذي يمثله المسجد، يبيح المخرج الذي توصّل إليه البخيل(الشيخ)، من خلال لفظة (التعبد) أي العبادة، باعتبار أن المسجد يمثل مكانا للعبادة، وأن العبادة تتحقق في الحياة اليومية، والتعبد هو الذي جعل جلد المتغوّط وجلد الجَنَب في مرتبة واحدة، وجوهر الأشياء يكون واحدا (الماء، طيب الجلود)، فالموضوع الثقافي(الجنابة)، من حيث هي دال، تحيل على مدلول(التدنس)، والتعبد من حيث هو دال(سلوك عبادة) تحيل إلى مدلول(التطهر)، ونجد بذلك أن الموضوعات الثقافية التي تمثل الدين ، توفر الإطار الشرعي الذي يبرر سلوك الشيخ من خلال (الكتاب والسنة) (وما علمنا أن كتابا حرّمه، ولا سُنّة نهت عنه) (الجاحظ، 2004، صفحة 54) ، فالدال يحيلنا على القرآن وما أُثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أما المدلول فهي القوانين والشرائع الدينية التي تبيح الاغتسال وشرب الحمار لماء الجنابة.

حيث نصل إلى الاستنتاج التالي: أن الجاحظ يدخل في سجال وجدل ، حول قضية تخص التعامل الديني مع السياق الاجتماعي ، الذي يواجه ندرة في المياه العذبة، وهذا في معرض النقد والسخرية، فليس غرضه نقد السلوك الاجتماعي، الذي لجأ إليه الشيخ لسد الحاجة إلى الماء العذب، ولكن إيجاد المخرج الذي يوفره الدين للسياق الاجتماعي المفروض، فالجاحظ يقدم تأويلا لـلموضوعات الدينية الثقافية في النص.

ونجد بذلك أن الأشياء الثقافية، تظهر من خلال العنوان **"الحمار والماء الأجاج"** ، فالحمار ينتمي إلى بيئة الشيخ البخيل، ولكن الجاحظ يجعله محور القصة من خلال العنوان، والمتَأثِر المباشر بنقص الماء العذب، يجعلنا نتساءل، لماذا يجعل الجاحظ الحمار محور العنوان؟ فالدال في لفظ الحمار، يحيل على المدلول، الذي هو؛ حيوان يتخذ للركوب والحملالمعاني(2023)، ولكن يمكن استخراج السنن الذي يجمع بين الدال والمدلول؛ وهو الخضوع، ولكن في سياق النص، يظهر مدلول آخر وهو التمرد (فكنا نمزج منه للحمار

فاعتلّ منه، وانتفض علينا من أجله...) (الجاحظ، 2004)، ولكن المخرج الذي اهتدى إليه الشيخ(ماء الجنابة)، يجعل الحمار يُقبل عليه (والحمار أيضا لا تقزُّز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه)، ما يجعلنا نستنتج؛ أن هناك تهكما وتعريضا من قِبل الجاحظ، من خلال سلوك البخيل، وهو التهكم والتعريض الذي يوجهه لأهل البصرة، أو فئة المسجديين، فالجدل العلمي الذي ميَّز المسجد، جعله ينحط إلى مستوى جدل أدنى، ولكنه يبين مستوى من التعامل اليومي، مع إشكالات الحياة في مواجهة نقص الماء العذب، وبالاستناد إلى نظرية يوري لوتمان، فإن مدلول (الحمار والماء الأجاج) يعتبر رمزا، يمثل الوعي الثقافي الجمعي، الذي كوَّن رموزا في الثقافة، تظهر في النصوص، فهو يمثل الخضوع والانسياق لحيلة الشيخ، الذي يجد مخرجا فقهيا لحيلته، كما يمثل الإشكالات التي يواجهها المجتمع في البيئة الثقافية، والحلول التي ينتهجها لتتكيف مع الواقع، بحيث يجعل التأويل الديني مسايرا لهذه الإشكالات، وتعكس هذه القصة ثقافة الفئات المهمشة، التي تسمع صوتها من خلال التهكم والسخرية " ويعتبر الجاحظ أول من كتب عن المهمشين في كتابه البخلاء...حاول فيهما الكشف عن واقع المقهورين في العصر العباسي، وذلك عن طريق السرد، ومن خلال توظيف السخرية"(هويدا، 2015) .

نتائج الدراسة

ومن خلال تحليل نص الجاحظ " قصة أهل البصرة من المسجديين"، وفق مقاربة سيميائية الثقافة، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

1– يعتبر السنن الذي يربط بين الدال والمدلول، منهجا مهما لفهم مدلول النص، واستخراج دلالاته الكامنة، فهو يعكس ثقافة المجتمع، لذلك فتم استخراج السنن في النص، من خلال الألفاظ، وتبين أن سنن (المسجد)، الذي يمثل مكانا للتعبد في ثقافة المجتمع، أصبح مسايرا للتحوُّلات الاجتماعية، بالبحث عن الحلول لإشكالات الحياة.

2– ينقد الجاحظ من خلال نصه، أهل البصرة، فالخطاب والسجال الذي تناول مسائل فقهية وفلسفية لهذه الفئة،كوّن هوة بعيدة عن خطاب الفئات الاجتماعية، التي تواجه إشكالات يومية، وكيف تُوفِّق بين الخطاب الديني، والإشكالات التي تواجهها.

3 - إن الأشياء تمثل ثقافة وحضارة المجتمع، وقد حصرنا من هذه الأشياء، ما ينتمي إلى بيئة المجتمع مثل؛ ماء البئر، الإبل، النخل، الحمار، التي تواجه أزمة المياه العذبة، ومن الأشياء التي تمثل مفاهيم المجتمع نجد؛ (التعبد، الجنابة، الكتاب والسنة، المتوضأ)، التي تمثل الإطار الديني الشرعي، الذي يُنَظِّم السلوك الاجتماعي، ومن خلالها يحاول البخيل أن يجد تأويلا لحيلته.

4– إن التهكم عند الجاحظ، يشمل الطريقة التي ارتآها البخيل لإيجاد المخرج (حفظ الماء العذب)، والتأويل الديني، الذي أراد أن يُكَيِّفه مع الوضع الاجتماعي، ما يعكس تعامل الفئة الاجتماعية، مع القواعد الفقهية وهذا لمواجهة الواقع.

5-استعمل الجاحظ الرمز من خلال القصة الأولى التي رواها الشيخ (الحمار والماء الأجاج)، حيث يعتبر محور التهكم والسخرية، فالدال (حمار) يحيل إلى مدلول الانصياع، كما يمثل في ثقافة المجتمع البَلادة، ما يعني أن الجاحظ يُضَمِّن مدلولا خفيا من استعمال هذا الرمز، نفترض فيه أن هناك سخرية، وتعريض من كيفية تأويل المسائل الفقهية، ويجعلنا نستنتج وجود هامش حرية لفئات المجتمع، التي تُعبر عن مفهومها للموضوعات الدينية في واقعها، وفق منهج السخرية.

6– إن نص الجاحظ (قصة أهل البصرة من المسجديين)، يتضمن دلالات وسننا، يحتاج لتفكيكه، إلى استقصاء ذاكرة النصوص التي لها علاقة بهذا النص، لأنها تحفظ ثقافة المجتمع، من ثم نستطيع أن نُؤَوِّل السنن والرموز التي يوظِّفها الجاحظ .

خاتمة:

إجمالا؛ تطبيق المقاربة السيميائية للثقافة على نص الجاحظ، يكون بتحديد عملية الدلالة، وفهم اشتغالها في النص، حيث يبني الجاحظ السنن الذي يجمع الدال مع المدلول، أما المتلقي فينطلق من المدلول إلى الدال لتفكيك السنن، وهذا ما حاولنا تطبيقه على النص، فنص الجاحظ قائم على سنن يمثل ثقافة المجتمع، كما يتكون من الأشياء الثقافية المادية والمفهومية، التي تمثل ثقافة مستعملي الأدلة، لذلك فلازال النص يحتاج إلى تعميق أكثر، لاستخراج الدلالات المتُضَّمنة وفق مقاربة سيمياء الثقافة.

الإحالات والمراجع

1. أيزابرجر آرثر.. *النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية* (الإصدار ط1). (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003 ، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، ط1)، ص 78.
2. الجاحظ ،*البخلاء*،(بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2004)، ص. 53.
3. صالح هويدا، *الهامش الاجتماعي في الأدب، قراءة سوسيو ثقافية*. (القاهرة: رؤية للنشر التوزيع، 2015)، ص 225.
4. محمد عويس، *المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ* (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1977)، ص 284.
5. المعاني، معجم عربي عربي، (https://www.almaany.com/ar)4فيفري 2023 Consulté le

6 .Lévi-Strauss , *Anthropologie Structurale*,(Librairie Plon, 1958), p. 78.

7 .Lotman, Y, *A semiotic theory of culture* ,(Great Britain, I. U. PRESS, Éd,1990), p. 18

8 .Posner, R. sémiotique de la culture et théorie des textes. *EtudesLittéraires*(D. d. Laval, Éd.), *21*(3), 1989, pp. 157-175, doi:https://doi.org/10.7202/500878ar.

الملاحق

قصة أهل البصرة من المسجديين

قال أصحابنا من المسجديين:

اجتمع ناس في المسجد، ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتثمير للمال، من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحابّ، وكالحلف الذي يجمع على التناصر

وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب، وتطارحوه وتدارسوه، التماسا للفائدة، واستمتاعا بذكره:

الحمار والماء الأجاج

فقال شيخ منهم ماء بئرنا، كما قد علمتم مالح أجاج، لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل؛ والنهر منا بعيد، وفي تكلّفالعذب علينا مؤونة فكنّا نمزج منه للحمار فاعتلّ منه، وانتفض علينا من أجله؛ فصرنا، بعد ذلك، نسقيه العذب صرفا. وكنت أنا والنعجة كثيرا ما نغتسل بالعذب مخافة أن يعتري جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلا. ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح، فعمدت الى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها وملّستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة، وصوّبت اليها المسيل، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء اليها صافيا، لم يخالطه شيء. ولولا التعبّد لكان جلد المتغوّط أحقّ بالنّتن، من جلد الجنب ، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضا لا تقزّز له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علينا أن كتابا حرّمه، ولا سنّة نهت عنه، فربحنا هذه منذ أيام. وأسقطنا مؤونة عن النفس والمال

قال القوم: هذا بتوفيق الله، ومنّه